رسائل من يوم عاشوراء

حملت ملحمة كربلاء الخالدة في يوم عاشوراء رسائل عديدة ومختلفة تخصّ المستويات العامّة والخاصّة بلا فرق بين الجماعات أو الأفراد، ومن شأنها أن تنهض بالواقع الإنساني والإسلامي على وجه أخصّ وتعمل على تحرير الفكر من قيود الجهل وتسلّط الدنيا، وتكشف عن القدرات والإمكانيات التي حملتها هذه الملحمة إلى الأجيال عبر نافذة الزمن؛ ليتحقّق لهم من بعد اتّباعها سلامة الدارين وعزّة لا تقاربها ذلّة.

ومن بين أهم هذه الرسائل الفريدة هي أن إرادة الإصلاح لا تستلزم وجود الناصر والمعين، فعلى الإنسان أن يبدأ بالإصلاح وإن تأخّر نجاحه ومعالم انتصاره، فالعمل من أجل مصلحة الإسلام كدين والمجتمع ككيان ينماز بالتماسك المنبثق من ثقافة التوحيد والمستند إلى السلامة الفكريّة التي لطالما أكّد عليها الإسلام في سبيل الوصول إلى مقاصد الله تعالى في نشر الخلق وتكليفهم، وتبيَّن من واقعة كربلاء أن الاستجابة إلى دعوة الله تعالى ليست متاحة للجميع فقد يحتاج الإنسان إلى كثير من الإخلاص والمناجاة للتوفيق إلى العمل بما يرضي الله تعالى، وهذا البعد ظهر واضحًا في منهج أصحاب الحسين (عليه السلام).

وقد كشفت ملحمة كربلاء عن سمات القائد الحقيقي، إذ قدَّم الحسين (عليه السلام) أهل بيته وذراري رسول الله تعالى وولده حتى قبل الآخرين، وهذا بحدّ ذاته يبيِّن طبيعة التعامل الإنساني بين الإمام (عليه السلام) وبين أصحابه وإيثاره الكبير الذي زرع فيهم روح التضحية بين يديه (عليه السلام)؛ لذلك فإنّ ثورة الحسين (عليه السلام) مع عالميتها كانت تمثّل خيمة للإنسانية جمعاء، يتعلّم منها الثائرون درسًا في الإيثار والإقدام المتفاني رغبة في الوصول إلى تحقيق رضا الله تعالى، وهذا الإقدام الحسيني كشف لجميع الأفراد بأنّ عليهم أن لا يجعلوا بينهم وبين الله تعالى حواجب من متاع الدنيا من المال أو الجاه أو العشيرة والولد؛ بل ينبغي أن نترك الجميع من أجل الغايات النبيلة التي قد نكلَّف بها، وهذا الأمر لا ينحصر بالرجال؛ بل قد يكون للمرأة دور كبير، ولقد تبيَّن من مسيرة الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء أنّ المرأة ليست ضعيفة كما يتصوّر بعض الناس، فهي تتمتّع بالقدرات والقابليات الكبيرة وقد أسهمت بشكلٍ أو بآخر في نجاح ثورة الحسين (عليه السلام).

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ اجتماع الأمّة على الحسين كشف عن زيف بعض الروايات الموضوعة التي يتغنى بها كثير من الناس، ومنها ما نسب إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأنّ يد الله مع الجماعة، فهذه ليست مطلقة، فالأمّة التي اجتمعت على الحسين (عليه السلام) كانت ظالمة، وبعيدة عن طاعة الله ورضاه، ومن المناسب أن نفهم أن رسالة عاشوراء عزّزت من مكانة من كان مع الله تعالى وقوّته، حتى أن الجمهور الكبير الذي اجتمع على الباطل كان كالمعزّى بين أيدي أبطال الصفا وليوث الهيجاء من أصحاب الحسين (عليه السلام) على الرغم من قلّتهم؛ إلّا أنهم صنعوا المعجزات وتسابقت الكرامات بين أيديهم ليستيقن الناس بأنّ دماء الشهداء تصنع المستحيل ولو بعد حين.